باب العلوم الدينية

1. الرؤية الاستشراقية للسيرة النبوية :

دراسة تحليلية لتعامل النبي ﷺ مع اليهود

"The Orientalist Perspective on the Prophetic Biography: An Analytical Study of the Prophet Muhammad's ﷺ Dealings with the Jews."

بقلم كل من الباحثتين:

د. إلهام حمد عيسى
Assistant Lecturer Noor Ihsan Al-MousaAssistant
professor ilham hamad issa

و م.م. نور إحسان الموسوي
جامعة الكوفة / مركز دراسات الكوفة .
University of Kufa / Kufa Studies Center
noore.almosawy@uokufa.edu.iqil hamh.
alqabchee@ uokufa.edu.iq

تاريخ الاستلام 2025 /3/30 تاريخ القبول: 2025 /5/12 تاريخ النشر : 2025 /6/25

الملخص

ظهرت كثير من الدراسات الاستشراقية المهمة التي سلطت الضوء على السيرة النبوية، ورغم أن بعضها لا تتوافق مع الفكر الإسلامي وغريبة عن مسلمات العقيدة وخارجة عن

بداهاته وإفتقارها الى الموقف الموضوعي، إلا إنها كانت دراسات علمية أعتمدت على المصادر الإسلامية الإصلية وناقشت روايتها بمنهج علمي يعالج تاريخ سيرة رسول الله ﷺ ورحلة جهاده في سبيل نشر الدعوة الإسلامية .

لقد حظيت سيرة النبي محمد ﷺ باهتمام واسع في كتابات المستشرقين، وقد تنوعت دوافع هذا الاهتمام، فمنها انطلق من مواقف عدائية متأثرة بإرث الصراع الديني بين العالمين الإسلامي والمسيحي، ومنها ما كان بدافع علمي ورغبة في فهم المبادئ الأساسية للإسلام ، باعتباره دينًا ذا تأثير بالغ في تشكيل القيم والأخلاق لدى الشعوب، وكونه من أكثر الأديان انتشارًا في العالم، وقد نظر بعض المستشرقين إلى النبي ﷺ بوصفه قائداً لحركة اجتماعية كبرى استطاع من خلالها توحيد العرب، مؤسسًا بذلك لحضارة إسلامية عالمية ما زالت آثارها ماثلة وفاعلة حتى يومنا هذا.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، اليهود، الرؤية النقدية للمستشرقين، المقارنة.

Summary;

Many significant Orientalist studies have emerged that shed light on the Prophetic biography. Although some of these studies do not align with Islamic thought, often diverging from the core tenets of faith and lacking in objectivity, they nevertheless constitute scholarly efforts that relied on original Islamic sources and engaged with the narratives of the Prophet's life through a critical and academic methodology. These works sought to explore the historical dimensions of the Prophet Muhammad's ﷺ life and his enduring struggle to spread the Islamic message.

The biography of the Prophet Muhammad ﷺ has attracted considerable attention in Orientalist writings. The motivations behind this interest have varied: some were driven by antagonistic views shaped by the legacy of religious conflict between the Islamic and Christian worlds, while others stemmed from a genuine academic desire to understand the fundamental principles of Islam — a religion that has had a profound impact on shaping the moral and ethical values of nations and remains among the most widespread faiths in the world. Some Orientalists viewed the

Prophet ﷺ as the leader of a major social movement through which he succeeded in uniting the Arabs, thereby laying the foundation for a global Islamic civilization whose influence endures to this day.

Keywords: Orientalism, Jews, critical vision, comparison.

Top of Form

Bottom of Form

تمهيد :

شغل الدين الإسلامي وحضارته فكر كثير من المستشرقين وبذلوا فيها من الجهد لدراستها وناقشتها وتحليلها ، وقد أختلفوا فيما كتبوه في دوافعهم وأهدافهم ، فكان بحثنا من باب كشف النقاب عن نتاجاتهم سيما ما يخص السيرة النبوية ، ونظرا لصيغة البحث المقتصرة على عدد محدود من الصفحات ، فعمدنا إلى تسليط الضوء على حقبة معينة من سيرة النبي الكريم ﷺ وهي هجرته إلى المدينة والاحداث التي رافقت مكوثه فيها وكانت من أبرزها إصتدامه باليهود ، رغم محاولاته المتكررة في كسب تأييدهم إليه ، على إعتبار أنهم أصحاب دين موحد لله تعالى ، ومزايا رسول الله ﷺ معروفة في كتبهم الدينية ، لكن تلك الحوارات لم تأتي ثمارها وأستمر اليهود في حياكة لتخلص إلى الاحتدام العسكري والذي خرج بإجلائهم من المدينة المنورة ، من هنا أصدر المستشرقون صورهم التحليلية في أسباب صدور الأمر النبوي الذي قضى بخروجهم من المدينة .

يتضمن البحث من محورين:

الأول: تعريف الاستشراق التاريخ والمفاهيم

يقدم هذا المحور تعريفاً للاستشراق وتطوره التاريخي، بالإضافة الى دراسة الدوافع التي قادت المستشرقين الى دراسة الإسلام والسيرة النبوية.

الثاني: توضيح الرؤية الاستشراقية لتعامل رسول الله ﷺ مع اليهود.

يناقش هذا المحور تعاملات النبي محمد ﷺ مع اليهود من منظور المستشرقين، مثل فلهاوزن، وبروكلمان، ومونتجمري وات، ورودنسون، وغيرهم، مع فهم نظرة المستشرقين للتعددية الدينية في المجتمع المدني ودور اليهود في هذا السياق، وكذلك يقدم هذا المبحث تحليلاً نقدياً لمدى دقة وموضوعية الرؤية الاستشراقية لتعامل النبي مع اليهود ، تظهر اشكالية البحث في محاولة توضيح كيفية تصوير المستشرقين لتعامل النبي ﷺ مع اليهود في نطاقهم

السياسي والذي تضمن ردود افعالهم تجاه الدين الجديد وما نتج عنه في سلوكيات رسول الله ﷺ وموقفه الذي تجلى في اجلائهم من المدينة ، والسؤال الذي يطرح؟ هل كانت الرؤية الاستشراقية منصفة في طرحها ام إنها تأثرت بأيدولوجيات ثقافية سياسية غربية ، واستخدمنا المنهج التحليلي – النقدي لتحليل الدراسة وتوضيح ابعادها، من اهم المصادر والمراجع التي استخدمت في الدراسة : مونتجمري وات، محمد في المدينة، فلهاوزن ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، رودنسون ، الماركسية والعالم الإسلامي، وكذلك المصادر الإسلامية في السيرة النبوية، ثم ختمنا بحثنا بأهم ماتوصلت إليه الدراسة من استنتاجات حول رؤى المستشرقين، ومن الله التوفيق والسداد.

المبحث الأول : تعريف الإستشراق تاريخ ومفاهيم .

الاستشراق : علم يدرس لغات الشرق وتراثهم ومجتمعاتهم وماضيهم وحضارتهم، وهو يعنى كل ماله علاقة بالدراسات العربية أواللغات التي تؤثر فيها العربية كالتركية والفارسية، أقر المصطلح في مؤتمر المستشرقين في باريس عام 1873م ، وبعد مائة عام عقد مؤتمر آخر في نفس البلاد في عام 1973م وتم تغيير مصطلح الاستشراق إلى العلوم الإنسانية الخاصة بالعالم الإسلامي [1]، كان التنظيم المنهجي الذي وضع هوالحصول على المادة الشرقية ونشرها بصورة منتظمة لأنها ضربا من المعرفة المتخصصة ومنظومة من الحقائق، وتقاليد أكاديمية ذات نفوذ والمتخصص الاكاديمي في هذا المجال يدعى (المستشرق) [2]، أخذت تلك الدراسات تتسع وتستقل حتى أصبح لكل منطقة من المناطق تسميتها فبدأ بعضهم يدعودراسة اللغة العربية وشؤون العرب بالدراسات العربية ويدعوالمستشرقين المتخصصين بـ (المستعربين) [3].

مفهوم المستشرق يختلف بين الرؤية الغربية والشرقية، فالاولى تُعبر عن المستشرق بأنه ذواهتمامات علمية ترتبط بتاريخ الشرق وحضارته وآدابه ، وتتجلى هذه الاهتمامات في عمل تحقيق الكتب ونشرها والتي كتبت في علوم القرآن والسيرة والتاريخ والفلسفة

1– لطيف نجاح شهيد القصاب ، الاستشراق في فكر إدوارد سعيد قراءة في منهج الخطاب (بحث منشور في مجلة دراسات استشراقية) ، العدد17 ، 2019 ، ص176 .
2– إدوارد سعيد ، الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق) ، ترجمة : محمد عناني ، الطبعة صادرة عن دار بنجوين العالمية – 1995 ، (رؤية للنشر والتوزيع – 2006) ، ص269 .
3– سعدون الساموك ، الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية ، دار المناهج للنشر ، (عمان – 2010) ، ص13 .

والقضايا الإسلامية الآخرى ، بينما الآخرى فتنزع عنه ثوب العلم والمعرفة الخالصة، وتلبسه ثوب الإنخراط في قضايا ذات أبعاد سياسية إستعمارية [1].

مرَّ الاستشراق بعدة مراحل تطور خلالها بشكل تدريجي: كانت الأولى التي نقل فيها الكنسيون فيها علوم الكنيسة وفلسفة اليونان من بغداد وغيرها من البلاد العربية إلى روما إذ كانت الكنيسة في إحتضار فكري وعلمي، ما جعل كتابها يفدون إلى حاضرة المسلمين وينهلون من علوم الإسلام ويصلوا إلى المؤلفات اليونانية ومناقشات العرب المسلمين عليها ليترجموها إلى لغاتهم سيما اللغة اللاتينية لتعتمدها في نشر أفكارها ، ويمكن عد رحلاتهم كموجة إستشراقية أولى نقلوا فيها علوم العرب إلى شعوبهم إلا أنهم نقلوا أفكارا مشوهة وصوروا رسول الله ﷺ والدين الإسلامي أبشع تصوير ليثبتوا لجماهيرهم أن الإسلام لا يستحق الانتشار، كانت معظمها قد دونها القديس يوحنا الدمشقي [2] الذي عاش في العصر الأموي في دمشق، وبعضها في رسالة منتحلة نشرها مؤلف يدعى عبد المسيح بن أسحاق يدعي أنه كان مسلما ثم ارتد عن الإسلام إلى المسيحية ، ليقوم المستشرقون من المبشرين في إعادة نشرها في لندن ، كي تخدم أغراضهم في الطعن بتراث الأمة العربية المقدس بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة عند الاوربيين وأخذت تشككهم بكل التعاليم رجال الدين فلم يجدوا بدا من صرف أنظارهم عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة وهم يدركون ما تركته الفتوحات الاسلامية ثم العثمانية في أوروبا من خوف من قوة الإسلام وكره لأهله فأستغلوا هذا الجوالنفسي ، وتأجيج حقد شعوبهم على العرب المسلمين لغرض إستغلالها لزحفهم نحوالبلاد العربية في حرب صليبية لتهديم معالم الإسلام وإنهاء دوره الذي طغى على الكنيسة ، إضافة إلى الهدف الرئيسي في إيجاد مستعمرات في أراضيها وينقلون إليها مراكز حكمهم بعد

1- عباس قاسم عطية المرياني، الاستشراق الإيطالي (فرانشيسكوغا بريلي في كتابه محمد والفتوحات الإسلامية أنموذجا) رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة البصرة – كلية التربية – 2020) ، ص17 .

2- يوحنا بن سرجون بن منصور الرومي (ت749م) نصراني الديانة ، أبوه كاتب لمعاوية بن أبي سفيان ويزيد ومروان بن الحكم ، درس في دير القديس سابا في فلسطين، شغل مناصب رفيعة في دولة بني أمية تميز بالثقافة اليونانية واللاهوتية، له كتابات منها: محاورة مسلم وارشادات النصارى في جدل المسلمين، ينظر: الجهشياري، أبي عبد الله محمد بن عبدوس (ت331هـ)، كتاب الوزراء والكتاب، دار الفكر الحديث ، (بيروت –1988) ، ص22– 27 .

تفاقم الصراع بين ملوك وأمراء أوروبا وما بين بابا روما على السلطة[1].

أما المرحلة الثانية فهي التبشير والذي أتفق عليها المؤرخون أنها حركة الاستشراق بالمعنى العلمي، وكانت بداياتها في نهاية القرن (17) حيث نشطت الكنيسة في إرسال رجالاتها الى مناطق شمال إفريقيا وآسيا وظهر فيه أول نقل للقرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية وطباعته وكذلك طبع أول كتاب للغة العربية سنة 1613م، ثم أستأنف عمل المستشرقون في المجالات الثقافية والاجتماعية والسياسية أكثر من المجال الديني، وكان وجودهم في الاراضي العربية فرصة لهم في إثراء إمكاناتهم اللغوية في اللغة العربية ليشتغل المهتمون منهم بالتراث العربي فبرز منهم في المجال الاستشراقي أمثال المبشر المستشرق الانكليزي هنري بريدوالذي ألف عن رسول الله ﷺ وسيمون أوكلي مؤلف كتاب تاريخ العرب وغيرهم من المبشرين الذين أفلسوا دينيا، لكنهم قدموا خدمات جليلة إلى الغرب من خلال نقلهم ما درسوه من العوامل الطبيعة الجغرافية والاجتماعية لصفات العرب وتقاليدهم وما يحيط بحياتهم الاقتصادية والمؤثرات السياسية والثقافية وكل ما يمّكن دولهم المستعمرة من الدخول فيه من الثغرات [2].

المرحلة الثالثة تتمثل في قيام المستشرقين قديمهم وحديثهم في خدمة أغراض **الاستعمار** وظهور المؤلفات التي بدأت منذ القرن الاول الميلادي (كالمؤلف عن البحر الارتيري)، وأستمرت الدراسات عن الواقع العربي في عصر الصليبين وشنها حملات نابية شديدة على الإسلام والتراث العربي، كما سبقت الحملات البرتغالية دراسات استراتيجية لدراسة الاوضاع في المشرق والمغرب العربي والكتابة الى الدوائر المعنية للاستفادة منها ، لتبدأ البعثات الدبلوماسية تؤدي دورها الاستشراقي أيضا وتوجيهه لمصالح الغرب، وهكذا بدأ الاستشراق بدراسة اللغة العربية وانتهى بعد التوسع الاستعماري الغربي في الشرق [3]، لكن هذا لا ينفي بعض الدوافع الاخرى التي لا نستثني منها الهدف العلمي بدافع حب الاطلاع على حضارات الامم وأديانها وثقافاتها ولغاتها وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم في فهم الإسلام وتراثه لأنهم لم يتعمدون الدس والتحريف ، فجاءت بحوثهم أقرب إلى الحق والمنهج العملي السليم من

1- عرفان عبد الحميد ، المستشرقون والإسلام ، (بغداد – 1969) ، ص6 – 10 .

2- سعدون الساموك ، الاستشراق ومناهجه ، ص20 –21؛ عباس قاسم المرياني ، الاستشراق الايطالي، ص22.

3- مصطفى بن حسني السباعي ، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، دار الوراق ، المكتب الإسلامي ، ص19- .

أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين .

أهتم المستشرقون بدراسة السيرة النبوية وحاولوا فهم الشخصية المحمدية من زوايا وجوانب بعضها متكاملا وأخرى مبتورة ينقصها الأمانة العلمية في تحويرهم للحقائق ، ليظهر واضحا مستوى التفاوت في دراساتهم لهذا الجانب من تاريخ الأمة العربية، (والذي يبرز فيه العرب بوصفهم عمادا لدولة عالمية خاضت تجربة تاريخية كاملة بدينها الإسلامي ومثلها العليا الأنسانية وحياتها الفكرية المميزة لهم)، ويبدوهذا ناتجا من طبيعة البواعث والاهداف التي الى دفعتهم لدراسة هكذا مواضيع: (أن الطريقة الغالبة على المستشرقين أنهم لا يزنون الموضوع الواحد بميزان واحد فيما يتعلق بالإسلام بالأمم الإسلامية وفيما يتعلق بغير الإسلام وغير المسلمين، فهم أبدا ينظرون نظرة جانبية إلى المسائل الإسلامية، لا يعممون النظر على قاعدة واحدة إلى هذه المسائل وإلى نظائرها في البلاد الأوربية في لبلاد الأوربية وعندهم مسائل الإسلام موسومة بالغرابة .. فهم يتطلبون الشذوذ الغريب ابتداء من النظرة الأولى ولا يحسبون أن التعليل العلمي يتسع لتفسير الإسلاميات على قاعدة واحدة من قواعد الفهم والتحليل)[1] ، لكن هناك من ألتزم منهم بالحياد والموضوعية في تأليفه، وهؤلاء أجتهدوا في إحياء الكثير من أمهات الكتب التراثية في الفكر العربي بل كان بعضهم قد تنبه إلى مغالطات عدد من زملائهم الذين أحاطوا رسول الله ﷺ بوابل من الآراء البعيدة من الإنصاف والواقعية ، فجاءت كتاباتهم ردا عليهم، فدرسوا السيرة النبوية بروح محايدة تميل نحوالتحليل العلمي والتتبع الدقيق بحرية تكاد أشبه بالمطلقة[2].

من هنا نستنتج تختلف رؤية المستشرقين للسيرة النبوية بحسب الفترات الزمنية والاتجاهات الفكرية التي ينتمون إليها عمومًا، يمكن تقسيم الرؤية الاستشراقية إلى عدة اتجاهات منها [3] :

1. **الرؤية النقدية** : بعض المستشرقين ركزوا على نقد السيرة النبوية، حيث شككوا في المصادر الإسلامية التقليدية مثل كتب السيرة والحديث، كانوا يعتمدون على المقارنات بين الروايات ويثيرون تساؤلات حول مصداقية الأحداث والتفاصيل التاريخية، من الأمثلة على هذا التوجه، المستشرقين

1- نقلا من كلام لعباس محمود العقاد ، سعدون الساموك، الاستشراق ومناهجه ، ص96 .
2- حسن عيسى الحكيم، الدراسات الأستشراقية (رؤية وإيضاح في المنهج)، شركة العارف للمطبوعات، (بيروت-2012)، ص75-74.
3- أدوراد سعيد ، الإستشراق ، ص360 – 390 .

مثل **إجناس جولدزيهر وجون وانسبرو**، الذين نظروا إلى السيرة النبوية على أنها تطورت مع الزمن وليس سردًا تاريخيًا دقيقًا.

2. **الرؤية المتحاملة:** في مراحل تاريخية معينة، ولا سيما في العصور الاستعمارية ، تبنى بعض المستشرقين نظرة سلبية تجاه النبي محمد ﷺ ودينه، متأثرين بالصراعات الدينية والسياسية بين الشرق والغرب. حاولوا في كتاباتهم تقديم صورة سلبية مشوهة، معتبرين النبي كقائد عسكري أوسياسي أكثر منه كنبي ديني أمثال أرنست رينان، وليم موير، لامنس، ولفنسون[1] ، كارل بروكلمان ، بيرنارد لويس ومرجليوث.

3. **الرؤية الموضوعية أوالأكاديمية** في النصف الثاني من القرن العشرين، ظهر جيل جديد من المستشرقين الذين سعوا إلى دراسة السيرة النبوية بطريقة أكثر علمية وأكاديمية ، اعتمدوا على دراسة المصادر الإسلامية التقليدية بعين ناقدة ولكن بنية الفهم والبحث وليس الهدم للوصول الى كبد الحقيقة، من أبرز هؤلاء لين أدورد الذي ترجم ألف ليلة وليلة وكتب قاموس اللغة العربية، لويس ماسنيون متخصص في التصوف اسلامي وخاصة دراسته للحلاج، ويليوس فلهاوزن **ومونتغومري وات**، الذي كتب بشكل واسع عن السيرة النبوية تميزت كتاباته ببعدها عن الأحكام المسبقة ، معترفًا بالنبي محمدﷺ كقائد ديني واجتماعي إصلاحي هؤلاء المستشرقون من خلال عملهم الأكاديمي الدقيق، ساهموا في بناء جسور معرفية بين الشرق والغرب ، وحاولوا تقديم رؤية أكثر توازنًا للإسلام وثقافته..

4. **الرؤية المقارنة** : بعض المستشرقين قارنوا حياة النبي محمد ﷺ بحياة شخصيات دينية أخرى مثل الأنبياء في الكتاب المقدس، هذا المنهج ساهم في تقديم رؤية قد تكون أكثر تعاطفًا مع الإسلام، إذ سعوا لفهم النبي محمدﷺ في سياق تاريخي وديني مشابه لما قدم في التقاليد الدينية الأخرى، أمثال جولدتسيهر، جوزيف شاخت، هانز كريمر، مكسيم رودنسون، هنري كوربان، اعتمد هؤلاء المستشرقين على المنهج المقارن الذي جعل أعمالهم ذات قيمة كبيرة، حيث قدموا رؤى أكثر تعمقًا لفهم كيفية تطور الفكر الإسلامي في سياق تاريخي وثقافي واسع .

1– بنسالم حميش ، العرب والإسلام في مرايا الإستشراق ، دار الشروق ، (القاهرة – 2010) ، ص76 .

يظهر من تنوع الرؤية الاستشراقية للسيرة النبوية إنها ليست موحدة ، وهي تتراوح بين النقد الشديد والتقدير الأكاديمي ، وتعتمد في كثير من الأحيان على السياق الثقافي والتاريخي الذي ينتمي إليه المستشرق .

ونشير في بحثنا هذا الى شخصية إستشراقية تناولت علاقة النبي محمدﷺ باليهود وعليه تمت مناقشة آراء المستشرقين الآخرين ، **وهويوليوس فلهاوزن الذي** تركزت دراساته حول أصول الديانات السامية ، كتب في التاريخ الإسلامي وتطرق فيها إلى السيرة النبوية، لقد كان إهتمامه الرئيسي لا يتضمن دراسة حياة النبي محمد ﷺ بصورة مباشرة، بخلاف مستشرقون آخرون مثل إجناس جولدسيهر أومونتغومري وات، وعلى الرغم من ذلك فإن أعمال فلهاوزن تأثرت بنهجه النقدي والتاريخي في دراسة الأديان والمصادر الدينية ومنها ضمنها الدين الإسلامي، نهجه كان يعكس التركيز على دراسة النصوص المقدسة كنتاجات اجتماعية وتاريخية، وهوالأمر الذي استخدمه لتحليل التوراة ، نظرته العامة للدين تركز على تحليل التطور التاريخي والظروف الاجتماعية التي أدت إلى ظهور النصوص الدينية ، لهذا يمكن الافتراض أن نظرته للسيرة النبوية كانت ستحاول فهم حياة النبي محمد ﷺ في إطار سياقي أوسع يشمل البيئة الاجتماعية والسياسية التي نشأ فيها الإسلام [1].

أعتمد يوليوس فلهاوزن في كتابه (تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية) لدراسة السيرة النبوية في رجوعه إلى المصادر العربية، وفي سرده لسيرة رسول الله ﷺ سلط الأضواء على الطابع السياسي لشخصه الكريم ﷺ ومحاولة بيان هدفه هوالوصول إلى سدة الحكم (كان محمد في مكة ثائرا على قومه مخالفا لما هم عليه ، أما في المدينة فقد بلغ ما كان يرمي إليه.. وذلك أن المعارضة دائما تتغير عندما تصل إلى الرئاسة وإن السياسة عند تطبيقها تبعد كثيرا عن الفكرة التي عليها ، لأن تقديرها للأشياء في أول الأمر يكون بحسب الإمكان لا بحسب الواقع ، .. وعلى هذا الأساس صار الطابع السياسي يزداد بروزا

1- يوليوس فلهاوزن: كان مستشرقًا ألمانيًا شهيرًا، يُصنف بشكل رئيسي ضمن المستشرقين الذين تميزوا بالرؤية الأكاديمية الموضوعية مع بعض جوانب المقارنة، كان عالمًا ألمانيًا متخصصًا في الدراسات التوراتية والإسلامية، واشتهر بدراساته عن نشأة الإسلام وتطور المجتمع الإسلامي المبكر، معروفًا بأعماله في مجال الدراسات الدينية والتاريخية ، عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين (بيروت – 1993) ، ص409 .

والطابع الديني يزداد تراجعا) [1] .

وفي ظل الإسراف القياس السياسي لا قيمة للنبوة عند المستشرق الألماني في حين أنه لونظر للمسألة على أساس النبوة لأمكنه إستيعاب ما يترتب على النبوة من إنقلاب سياسي وأقتصادي ، وهذا ما أستوعبه المسلمون فقد وجدوا أن إيمان محمد ﷺ بأنه رسول الله وخاتم الأنبياء له نتائج سياسية كما يذكر وات في كتابه محمد في مكة : (لوأن أهالي مكة أخذوا يؤمنون بإنذار محمد ووعيده وجعلوا يستفسرون عن الطريقة التي يجب أن تدار بها شؤونهم فمن ذا الذي يحق له نصحهم غير محمد نفسه) [2] .

ثم نجده يدخل في تفاصيل التأثير اليهودي والنصراني على النبي ﷺ ودعوته، إلا أنه في حديثه عن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة يستشف من عباراته بأن الإسلام كان تابعا ومقلدا لليهودية، وهو بذلك ساير إدعاءات كل من وات وبروكلمان في أن النبي ﷺ بذل جهودا جبارة لتكييف دينه مع اليهودية لغرض كسبهم إلى جانبه،(وأعتبرت مكة هي مركز الإسلام، ومن هذا الطريق فصل الإسلام عن اليهودية فصلا نهائيا وجعل دينا عربيا قوميا، وهكذا أدمجت مكة في الإسلام من الناحية الروحية قبل أن تفتح) [3] ، ويرى غابريلي (وأدى رفض اليهودية، وعدم إعترافها بدين محمد، إلى أن يؤكد على السمة العربية لرسالته، معلنا أن اليهود قد حرفوا وزووا كتابهم وأنهم حرفوا الوحدانية الحقة التي جاء بها جدهم إبراهيم إلى الجزيرة العربية، وأنه كان عليه أن يصححها، وكان أوضح مظهر لهذا الذي يبدوتقريبا رمزا لهذا التغيير في الموقف تحويل القبلة، إي وجهة الصلاة إذ غيرها محمد من القدس إلى مكة، وعلى وجه الدقة في الإيام الأولى في المدينة)[4].

يبدومن كلام المستشرقين محاولة نفي العالمية من الرسالة المحمدية [5] إضافة

1- فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ترجمة : محمد عبد الهادي أبوريدة ، نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة – 1968)، ص5 –6 .

2- مونتغمري وات ، محمد في مكة، تعريب : بركات شعبان، منشورات المكتبة العصرية، (صيدا – بيروت)، ص135 .

3- فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص19 .

4-فرانشيسكوغابريلي، محمد والفتوحات الإسلامية، ترجمة:عبد الجبار ناجي، دار المحجة البيضاء،2011، ص153 .

5- رغم تعصب المستشرق جولدتسيهر ضد الإسلام ونبيه، لكنه ذهب بتحليل علمي واقعي لآيات القرآن الكريم التي تؤكد على عالمية الإسلام، فيقول: (والمتواتر من الأحاديث الإسلامية نفسها يعبر عن إدراك النبي بأن رسالته موجهة إلى الجنس الإنساني بأسره ، أوإلى الناس كافة، ويبين ذلك فيما تواتر من مثل هذه الأحاديث النبوية (للأحمر والأسود)، فالطابع العالمي لرسالته يتسع حتى تشمل أوسع الميادين التي يمكن تصورها) . ينظر: أجناس جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، نقل وتعليق: محمد يوسف وآخرون ، دار الكتب الحديثة، ط2(مصر – 1959)، ص39 –40 .

الى محاولاتهم في إظهار تبديل العمل التشريعي الذي أمر به الله تعالى ماهوإلا نتيجة حقد أوبغض رسول الله ﷺ لليهود مما يعني مرده لموقف شخصي وليس بناء على وحي إلهي، وهذا أمر عار من الصحة إذ أثبتت الروايات عدة أسباب منها ما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): (تحولت القبلة بعدما صلى النبيﷺ ثلاث عشررة سنة إلى بيت المقدس، وبعد مهاجرته إلى المدينة صلى إلى بيت المقدس سبعة أشهر، ثم وجهه الله ﷻ إلى الكعبة بسبب أن اليهود كانوا يعيرون رسول الله ﷺ ويقولون له أنت تابع لنا تصلي إلى قبلتنا ، فأغتم رسول الله ﷺ من ذلك غما شديدا، وخرج في جوف الليل ينظر إلى آفاق السماء ينتظر من الله تعالى أمراً، فلما أصبح وحضر وقت الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلى من الظهر ركعتين فنزل جبرائيل (عليه السلام) فأخذ بعضديه وحوله إلى الكعبة)[1].

وفلهاوزن لا يخفي عطفه على اليهود في محاولة منه أن يظهره بالمعتدي عليهم وإخراجهم من مناطقهم لأسباب غير عادلة نقرأ:(لم يبق الإسلام على تسامحه بعد بدر، بل شرع في الأخذ بسياسة إرهاب في داخل المدينة، وكان إثارة مشكلة المنافقين علامة على ذلك التحول.. حاول محمد أن يظهرهم بمظهر المعتدين الناكثين للعهد وفي غضون سنوات قليلة أخرج كل الجماعات اليهودية أوقضى عليها في الواحات المحيطة بالمدينة حيث كانوا يكونون جماعات متماسكة .. وقد ألتمس لذلك أسبابا واهية .. لغرض منحها للمهاجرين وجعلهم مستقرين وأصحاب أرض في المدينة ، ليزيد في قوتهم ..)[2] .

وهوبذلك يظهر تحيزه على حساب الأنصار بإعتبارهم حرسه الخاص وجعلهم أكثر شأنا، ويحاول التشكيك في المعاهدات التي عقدها رسول الله ﷺ مع اليهود، حتى إذا ما نشب الصراع العسكري بينهم نراه يدعي أن النيات كانت مبيّتة لأخراج اليهود من المدينة على اعتبار أن الاسباب لا تتناسب مع الجرم الذي اقترفه اليهود[3]، وهذا الميل العاطفي ليس غريبا إذا ما أدركنا أن شهرة فلهاوزن قامت في الاساس على دراساته في مجال العهد القديم[4] .

لا يخفى على أحد أن عشرات من الشواهد على النفي الكيفي الذي مارسه المستشرقون إزاء وقائع السيرة حتى وضعوا

1- المجلسي ، بحار الأنوار ، 19 / 113 – 114 .

2- فلهاوزن ، اتاريخ الدولة العربية ، ص15 –16 .
3- عبد الله محمد الأمين النعيم ، (دراسة تاريخية لآراء) وات – بروكلمان – فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية ، دار الفكر (دمشق – 2008) ، ص211 .
4- عبد الله محمد الأمين النعيم ، الأستشراق في السيرة النبوية ، ص64 .

جدرانا بين القوم وبين الفهم الصحيح لها، لتصيب مناهج العمل بمزيد من التشنج، وتؤثر سلبا على نقاء المنهج الاستشراقي[1]، فبروكلمان مثلا الذي نلمس تعاطفه مع القوة المضادة للإسلام ولنبيه الكريمﷺ (لم يطل العهد بمحمد حتى شجر النزاع بينه وبين أحبار اليهود ، فالواقع أنه على الرغم مما تم لهم من علم هزيل في تلك البقعة النائية كانوا يفوقون النبي الأمي في المعلومات الوضعية وفي حدة الادراك) [2] يذكر بروكلمان في كتابه تاريخ الشعوب العربية، ساعدت الأديان السماوية التي كان لها منذ زمن طويل أنصار وأتباع في البلاد العربية، على استعجال هذا التفسخ في الوثنية العربية واستفحاله، ففي جنوب الجزيرة بلغت اليهودية، مبلغاً من القوة ظهرت اثاره في اعتناق الحكام لها، ومنذ القرن الأول بعد الميلاد واليهود يهاجرون الى الواحات الواقعة في الشمال الغربي، الى تيماء، وخيبر، ويثرب، وفدك، وكانوا يتكلمون اللغة نفسها التي يتخاطب بها السكان، وعلى الرغم من شدة الحاجة الى خدماتهم، كفلاحين وتجار وصاغة، فقد كان البدولا يثقون بهم، ومن هنا لا تستطع اليهودية ان تؤثر في حياة العرب الدينية تأثيراً أكبر من الذي كان لها في الواقع، ويسترسل (كان على محمد أن يعوض خسارة أُحد التي أصابت مجده العسكري من طريق آخر ففكر في القضاء على اليهود فهاج بني النظير لسبب واه)[3]، ثم لا يشير في كتابه تاريخ الشعوب إلى دور اليهود في تأليب الأحزاب على المدينة ونقض بني قريضة عهدها مع رسول اللهﷺ في أشد ساعات محنته[4]، فيقول: (ثم هاجم المسلمون بني قريضة الذين كان سلوكهم غامضا على كل حال)[5]، بينما يتغاضى إسرائيل ولفنسون عن دور نعيم بن مسعود في معركة الخندق كسبب في إنعدام الثقة بين المشركين واليهود [6]، لغاية قد يراها أن اليهود لا يمكن أن ينخدعوا، ويظهر مرجوليوث ميله العاطفي نحواليهود وأن إفتحام خيبر محض ظلم نزل باليهود، لا مسوغ له على الإطلاق: عاش محمد هذه السنين الست ما بعد هجرته على التلصص والسلب والنهب، ولكن نهب أهل مكة قد يسوغه طرده من بلده ومسقط رأسه وضياع أملاكه، وكذلك بالنسبة إلى القبائل

1- عماد الدين خليل ، المستشرقون والسيرة النبوية ، دار ابن كثير للطباعة (بيروت – 1426هـ) ، ص35 .
2- بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص47 .
3- المصدر نفسه ، ص52 .
4- عماد الدين خليل ، المستشرقون والسيرة النبوية ص26 .
5- كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة: نبيه أمين ومنير بعلبكي ، ط5، دار العلم للملايين، (بيروت – 1968) ، ص53 – 54 .
6- إسرائيل ولفنسون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب، مطبعة الاعتماد ، (مصر – 1927)،. ص145 – 146 .

اليهودية في المدينة فقد كان هناك على أي حال سبب ما حقيقيا كان أم مصطنعا يدعوإلى انتقامه منهم، إلا أن خيبر التي تبعد عن المدينة كل هذا البعد لم يرتكب أهلها في حقه أوحق أوأتباعه خطأ يعتبر تعديا منهم جميعا، لأن قتل أحدهم الرسول محمد لا يصح أن يكون ذريعة للإنتقام، وهذا يبين لنا ذلك التطور العظيم الذي طرأ على سياسة محمد.. فقد أصبح مجرد أن جماعة غير مسلمة يعد كافيا لشن الغارة عليها ..)[1] .

بينما حقيقة العداء اليهودي فهناك من يقره من المستشرقين ، فأنهم من ناحية كفرهم كمشركي قريش والله ﷻ أمر رسولهﷺ بقتالهم وإخراجهم من خيبر كما في قوله تعالى : ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية وهم صاغررون﴾[2] لأنهم لم يكونوا مسالمين وظاهروا على المسلمين وحرضوا القبائل على قتال النبي ﷺ في غزوة الخندق مثل قريش وغطفان وغيرها بشرط أن يكون لهم نصف ثمر خيبر ، وقد أقر بهذه الحقيقة كوستاف فايل في كتابه : (.. أما ما يقال عن القتل والحرب في عصره ، فنحن نرى إن ذلك وإن وجد كما حصل لبني قريظة إلا أنه حالات طارئة ولم يدم طيلة حكمه وكان القتل في عصره قليلا جدا .. كان سبب عقابه بالقتل هوأنهم تركوه في وقت الخطر وذهبوا إلى أعدائه وكادوا أن يقضوا بذلك على الدين الإسلامي وسقوط الرسول ولهذا لا يجب أن نحكم على أفعال الرسول الذي أرسله الله حكما قاسيا وأن لا نخرجه من محيطه وعادات وطبيعة قومه من العرب ..)[3] أما مونتغمري وات[4] بقوله : (كان يهود خيبر وبخاصة قبيلة بني النضير التي أجلاها رسول الله ﷺ من المدينة يضمرون الحقد لمحمد ﷺ وهم الذين نجحوا في حمل قبائل العرب المجاورة على حمل السلاح على المسلمين والزحف إليهم ، بما بذلوه من أموال وكان ذلك هوالسبب في توجه محمد ﷺ إلى

1- صموئيل مرجوليوث ، محمد وظهور الإسلام (دراسة تحليلية نقدية) ، ص63 ، ص202 ، عماد الدين خليل ، المستشرقون والسيرة النبوية ، ص37 .

2- سورة التوبة : الآية 29 .

3- فرست زبير محمد الوذبياني ، دراسة المستشرقين الألمان للسيرة النبوية فلهاوزن نموذجا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب / جامعة الموصل ، 2007، ص25-24 ، غوستاف فايل ، النبي محمد حياته ومذهبه، ص267 .

4- خصص وات في كتابه محمد في المدينة فصلا كاملا عن علاقة (محمد واليهود) تناول فيه كيفية دخول اليهود إلى الجزيرة العربية وأستقرارهم في يثرب وعلاقتهم بالقبائل العربية وحالتهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية أيام هجرة رسول الله ﷺ إليها ومحاولاته التفاهم معهم والجدال الفكري الذي دار بينهما ثم كيفية تحوله إلى صراع نج عنه إجلاءهم من المدينة ، ينظرر : ساسي سالم الحاج ، نقد الخطاب الديني ، دار المدار الإسلامي ، (بيروت – 2001) ، 2 / 186 .

خيبر بجيوشه)[1] .

ويمكن تعليل ذلك حسب رؤية وات: أن الرسول قد ساير اليهود في العديد من عباداتهم كالصلاة والتوجه إلى بيت المقدس ، وهذا التوجه نحوالشمال لا يعني حتما راجع إلى تأثير اليهود أورغبة في تقليد اليهود لأن هذه العادة كما يبدو ، كانت عند المسيحين، ثم يورد وات أن محمد قبيل الهجرة وبعدها، كان يميل إلى صياغة ديانته على شكل الديانة اليهودية وتشجيع أتباعه في المدينة على الاحتفاظ بالطقوس اليهودية التي تبنوها .. لكن الرسول عندما يئس من إقناع اليهود بالدخول في الإسلام، أخذ يغير في سياسته تجاههم على المستوى الإيديولوجي والسياسي .. فقد نبذ الاتجاه نحوالقدس وغير إتجاهها إلى مكة ثم شرع في صيام شهر رمضان الذي يخالف الطقوس اليهودية .. وتدل الوقائع على قطع الصلات بين المسلمين واليهود وسلوك محمد إتجاها جديدا في ميداني السياسة والدين[2].

يذكر فلهاوزن الى ان الرسول ﷺ تعامل مع اليهود كمواطنين وليسوا كقوه مسلحة ومتآمرة وفق أقصى درجات السماحة، ويكفي ان نرجع الى القران الكريم في سورة النساء (إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا) كيف انها نزلت كلمات الله بأقصى درجات التنديد والشدة بأولئك المسلمين الذين اتهموا يهودياً كذباً بالسرقة[3] ويكفي ان نشير الى قول إسرائيل ولفنسون[4] في كتابه(تاريخ اليهود في بلاد العرب) بخصوص حماية الرسول محمد ﷺ لاسفار يهود خيبر من الأذى وردها اليهم سالمة دون ان يصادر فكرهم الديني بخلاف ما فعله الرومان حينما دمروا القدس واحرقوا الكتب المقدسة وداسوها بالاقدام ، وكذلك ما قام به المسيحيون مع اليهود في الاندلس إذ احرقوا التوراة آنذاك[5] ويعالج ولفنسون قضية إجلاء اليهود عن الحجاز، ويرى ان الرسول ﷺ عامل بقية اليهود

1- مونتجمري وات ، محمد في مكة ، ص189 .
2- مونتكمري وات ، محمد في المدينة ، ترجمة : محمد شعبان بركات ، (لبنان – المكتبة العصرية – د.ت)، ص302 -304 .
3- سورة النساء آيه (105).
4- **إسرائيل ولفنسون أبوذُؤيب** (1899- 1980) مستشرق إسرائيلي يهودي اشكنازي ولد في القدس ودرسَ في مصر وكان أولَ طالب يحصل على الدكتوراه من الجامعة المصرية، بإشراف طه حسين، اشتَهَر بكنيته أبوذُؤيب. انتمى إلى جمعية الشبَّان اليهود المصريين سنة 1935 ثم عاد إلى فلسطين عام 1938، كان متقنًا عددًا من اللغات الأوربية الحية واللغات السامية. صارت له مكانةٌ بارزة على الساحة اليهودية فقد استأثرت الثقافة اليهودية والفكر القومي اليهودي باهتماماته، وانصبَّت مؤلفاته على معالجة ما يتصل بتاريخ اليهود في العصور الإسلامية، وبيان فضلهم على العرب. ينظر: محمد عبد الرحيم الزيني، الاستشراق اليهودي، ط1، دار اليقين، 2011، مصر، ص70.
5-إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب ، ص13.

في المدينة بمزيد من التسامح ووضح نص المعاهدة التي عقدها الرسول معهم، وعندما تولى عمر الخطاب الخلافة أجلى أغلب طوائف اليهود باستثناء من كان له عهد مع الرسول، وذلك بسبب كثرة الايدي العاملة من الأسرى عند المسلمين وكان لهم خبرة بالزراعة، فأراد ان يحلوا محل اليهود[1] ويستنكر ولفنسون في كتابه (تاريخ اليهود في بلاد العرب) مواقف اليهود مع الرسول ﷺ وبخاصة حينما تحالفوا مع المشركين وأعلنوا أن عبادة قريش لأصنام أفضل من دين الإسلام، وقد أكد القران الكريم هذا الموقف المخزي.

وكشف تناقض سلوكهم بقوله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا *أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا)[2]، على الرغم من موقفه الصريح لنصرة اليهود وموقفه الإسرائيلي الواضح، اما فلهاوزن صرح ان الرسول ﷺ جاء ليصحح دين اليهودية والنصرانية، وأخذ يقترب من دين إبراهيم إقتراباً إيجابياً، اخذ في تأكيد الجوانب التي تميز الإسلام عن اليهودية، اذن فلهاوزن هنا يوهم ان التشريعات التعبدية في الإسلام كانت مجرد رد فعل لتشبث اليهود بدينهم ، بينما هي في جوهرها رد الأمور الى نصابها الأصيل بعدما طرأ عليها من تحريف وتزييف من قبل اليهود والنصارى[3]

يقارن فلهاوزن بين العرب واليهود دائماً وفي كل الظروف دون مراعاة الخصوصيات الزمنية التي حدثت فيها الوقائع والطبيعة وظروف كل دين وقوم ، فهويسعى للمقارنة بين اليهود والعرب لانهم ساميين، وهوبهذا طبق أفكار ومصطلحات ديانته المسيحية البروتستانتية على التاريخ الإسلامي لذا فقد توصل الى ان النبي محمد ﷺ استطاع أن يقيم مملكة الله على الأرض وهذه فكرة مسيحية جاءت من كتابات القديس اوغسطين[4]، على الرغم مما سبق ذكره يحاول كل من وات وفلهاوزن وهم يتحدثون عن العلاقات الإسلامية – اليهودية في ظل الدولة النبوية إثبات ان الإسلام اخذ أفكاره وقيمه عن اليهودية والنصرانية، وان النبي ﷺ سعى الى بذل مجهودات جبارة لاجل تكييف دينه مع الديانة اليهودية، وذلك لأجل كسب اليهود

1- محمد عبد الرحيم الزيني، الاستشراق اليهودي، ص77. وكذلك: ينظر إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص22.
2- سورة النساء، ايه 51.
3- فلهاوزن يوليوس، تاريخ الدولة العربية ، ص18 -19.
4- بابر ياهنسن، تأملات في الشرق، تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني، ترجمة، عدنان حسن، ط1، دار قدمس العربية، ص118.

لجانبه، وهم أيضا يتشككون في المعاهدات التي عقدها النبي مع اليهود في المدينة، وحتى الصراع العسكري بين المسلمين واليهود نراهم يدعون بأن النوايا كانت مبنية لإخراج اليهود من المدينة[1] ، وهي نقيض مما ذكرته الروايات الإسلامية إذ كان لوجود اليهود في المدينة أثره في انتشار الإسلام فيها ، اذ انهم بشروا بمقدم النبي ﷺ وكانوا يتوعدون عرب المدينة به (أن نبياً من الأنبياء مبعوث في هذا الزمان سيخرج فنتبعه نقتلكم معه قتل عاد وإرم)[2] ، فلما وصل الرسول ﷺ الى المدينة (كان يرغب في لقاء اليهود على أساس انهم أهل كتاب بشرَ بمقدمه عساهم يدخلون في دينه، كان اليهود يأملون في هذا اللقاء ليؤثروا عليه ويدخل في دينهم)[3] .

إن رؤية وات وبروكلمان وحتى فلهاوزن حاولوا نفي نبوة النبي ﷺ واثارة الشكوك في الوحي الإلهي كما ذكرنا سابقا، وذلك بحسب ادعائهم ان الرسول الله ﷺ صاغ ديانته على شاكلة الديانة اليهودية، وانما هي ديانة بدائية لان من أخذ منهم كان على علم هزيل كما أوضح بروكلمان ، وهذا بحد ذاته من الأخطاء المنهجية التي تحسب على المستشرقين، وذلك لان جميع الأديان السماوية تتلاقى في الكثير من تعاليمها ، لاسيما في مسألة التوحيد، فما هوثابت يبقى على ماهوعليه من الثبات فلا يخضع لظروف الزمان والمكان واختلاف الأحوال[4].

ان النبيﷺ حينما اختارته العناية الإلهية لتبليغ الرسالة الخاتمة جاء بالعقيدة الصحيحة، وتلك العقيدة بشر بها من سبقوه من الأنبياء، بما فيهم سيدنا موسى وعيسى عليهما السلام، وذلك لان منبع الأديان واحد لا شريك له هوالله جل ثنائه، فاذا تلاقت الأفكار الإسلامية بالافكار اليهودية اوالنصرانية، فذلك لا يعني بان النبيﷺ سارق أفكار ، كما تصوره الدراسات الاستشراقية، لكن جاءت رسالته ﷺ لتكون الخاتمة بعد انحراف البشرية عن منهج الله تعالى بما فيهم اليهود[5] وهذه المسالة التي يروج لها المستشرقون في مسالة انفصال الأديان عن بعضهان هي نفس المسألة التي أثارها النصارى واليهود أيام النبي ﷺ ووصف القران الكريم هذا الموقف حين

1- عبد الله محمد الأمين، الاستشراق والعلاقات الإسلامية – اليهودية في السيرة النبوية، معهد اسلام المعرفة، السودان، ص407.

2- ينظر: ابن القيم الجوزي، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط1، مؤسسة الرسالة، 2009(بيروت – 1994)، ج3 ، ص40.

3- كامل سعفان، اليهود تاريخ وعقيدة، دار الاعتصام، (القاهرة – د.ت) ، ص28-27.

4- ساسي سالم الحاج ، نقد الخطاب الاستشراقي، ج2، ص172.

5- ينظر، عبد الله محمد الأمين، الاستشراق والعلاقات الإسلامية- اليهودية ، ص405.

قال﴿ **وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ**﴾[1].

يذكر مكسيم رودنسون[2] ان المؤمنين يعتقدون ببداهة أن الإسلام، تأسس على يد الله الذي ارسل في وقت أختاره النبيﷺ ليطرح مشيئته ويكشف للناس الاسرار التي أراد تعريفهم بها، ويقول ان الملحدين يفسرون بالطبع حياة محمد وعمله بشكل أخر، ولكن التوفيق لظهور النبي، يمكن للمؤمن ان يعتقد اعد المجتمع العربي وشخص محمد، للإسلام، ويرى رودنسون حتى ان ابن خلدون يفسر ظهور النبيﷺ أيضا الشكل مع ان لا أحد يستطيع التشكيك بإيمانه[3] عالج رودنسون علاقة المسلمين باليهود أبان عهد الرسول ﷺ وهجرته الى المدينة بعمق كبير، وكرر تقريباً المعلومات نفسها التي أشار اليها (وات)، ويعزورودنسون مناظرة الرسول لليهود من الناحية الفكرية الى أولئك النفر من اليهود الذين اعتنقوا ديانته وآمنوا برسالته فساعده على مقارعة بني جلدتهم في ديانتهم ومعتقداتهم[4] يشير رودنسون ان الصراعات العسكرية بين المسلمين واليهود مثل(غزوات بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريضة) لم تكن مجرد صراعات دينية، بل كانت مرتبطة بالنزاع حول السلطة والتحالفات السياسية، ويؤكد أن هذا الصراع جاء نتيجة لخيانة بعض القبائل اليهودية للحلف الذي ابرمه النبيﷺ معهم، وحتى ان البيئة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة آنذاك، تلعب دوراً كبيراً في تحديد العلاقات بين المسلمين واليهود، حيث ان اليهود كانت تسعى للحفاظ على مصالحها الاقتصادية، بينما كان النبي ﷺ يسعى لتوحيد المدينة تحت راية الإسلام[5] رغم ان رودنسون كان يهودي الأصل، لكن كان له موقف نقدي واضح من اليهود عامة والصهيونية بصفة خاصة، ونقد الصهيونية بسبب تأثيراتها السياسية والاجتماعية وخصوصاً فيما يتعلق بالصراع الإسرائيلي، واعتبر ان الصهيونية جزء من موجة الحركات القومية الاوربية الاستعمارية لتي ظهرت في القرن التاسع عشر، وان هدف الصهيونية كان وما زال هوإقامة وطن قومي لليهود في

1- سورة البقرة، ايه 135.

2- مكسيم رودنسون مؤرخ وعالم اجتماع ومستشرق فرنسي ، ينحدر من عائلة يهودية ، اهتم بتاريخ الأديان وبالتحديد التاريخ الإسلامي، من مؤلفاته سحر الإسلام، ومحمد، والإسلام والراسمالية، عرف بمعاداته للصهيونية واهتمامه بالقضية الفلسطينية.

3- مكسيم رودنسون، الماركسية والعالم الإسلامي، ط1، ترجمة مكتبة المهتدين، 1982م، ص57. وكذلك مكسيم رودنسون، جاذبية الإسلام، ترجمة الياس مرقص، الاسكندرية، 2003م، ص33،

4- ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، ج2، ص189.

5- ينظر: مكسيم رودنسون، الماركسية والعالم الإسلامي، ص 62.

فلسطين على حساب السكان الأصليين، والصهيونية استخدمت الدين لتبرير مشروعها القومي، مثلما فعل اليهود في زمن الرسول محمد ﷺ، ورفض ان الدين يمكن ان يكون اساساً لحقوق سياسية اولاحتلال اراضٍ هي حق مشروع لسكان أهلها الأصليين[1]

لقد كان في الإمكان تحقيق التعايش بين المسلمين واليهود في ظل الدولة المحمدية، لولا التركيبة المزاجية والنفسية لليهود وحرصهم على تثبيت عقيدتهم بأنهم شعب الله المختار **(وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ)**[2] التي جعلتهم ينغلقون على الذات متمسكين لمفاهيم توراتية حجبت عنهم الرؤية النبوية، عجزت العقلية اليهودية عن استيعاب مضامين الخطاب الإسلامي، لأسباب عديدة منها دينية وعنصرية وسياسية غذتها المفاهيم والمعتقدات التوراتية المحرفة[3] وقد وردت آيات كثيرة عن تحريف التوراة مثل قوله ﴿ **أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[4] .

يذكر الفيلسوف تولستوي في كتابه (حكم النبي محمد) إن محمداً هومؤسس ورسول الديانة الإسلامية التي يدين بها في جميع جهات الكرة الأرضية مائتا مليون نفس، وان محمداً لم يقل عن نفسه، إنه نبي الله الوحيد، بل اعتقد أيضاً بنبوة موسى المسيح، وقال إن اليهود والنصارى لا يكرهون على ترك دينهم، بل يجب عليهم ان يتمموا وصايا أنبيائهم[5] ويبرهن على ذلك ايرفينغ (اما اليهود المنتظرون للمخلص المكذبون لمن جاء، فقد شعروا بقوة الإسلام، فلعبوا دوراً هداماً بين الأمم التي حلوبينها، شانهم في كل عصر يلعبون لعبة» بدوالمدن» غير مرتحلين بينها فقط بل نافثين سموم العصبية في كل مكان يحلون فيه كالخراف الضالة)[6].

وينتقد (محمد قطب) المستشرقون لهدفين رئيسين، الأول ان المستشرقين يرصدون كل نشاط إسلامي، فكري أوحركي، بما هوميسر لهم من الأدوات، سواء بقراءة ما يكتبه المسلمون بلغاتهم العربية بصفة

1- ينظر: سلمان قاطية، اراء جديدة للمفكر الاشتراكي مكسيم رودنسون حول القضية الفلسطينية واسرائيل، مجلة المعرفة، المجلد 5، العدد49، ص213-208.

2-سورة المائدة، اية 18.

3- عبد الله محمد الأمين النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية، ص254.

4- سورة البقرة، ايه 75.

5- ينظر: ليوتولستوي، حكم النبي محمد، ترجمة سليم قبعين، كلمات عربية، القاهرة – مصر، ص12.

6- ينظر، ما قاله الدكتور هاني يحيى نصري في مقدمة المترجم، واشنطن ايرفينغ، محمد وخلفاؤه، ترجمة هاني يحيى نصري، ط1، المركز الثقافي العربي، 1999م، ص18.

خاصة اوالتحدث المباشر إليهم بألسنتهم لمعرفة أفكارهم واحوالهم، وهم بهذه الصفة يشبهون جهاز المخابرات الثقافي، وثانياً يقومون بجهود علمية منظمة للتشويش على المسلمين، وفتنتهم عن دينهم، وتشتيت أفكارهم عن إقامة حركة هادفة لتحقيق الإسلام في الأرض في أي بلد من بلاد الإسلام، ويذكر (قطب) ان الهدفان يلتقيان في النهاية عند المخطط الصليبي الصهيوني الرامي الى القضاء على الإسلام[1].

ان اليهود قديماً والصهيونية حديثاً، لهم أهداف محددة اتجاه الإسلام، تتلخص في محاولة القضاء عليه بكل الوسائل، والاستشراق يعد احدى هذه الوسائل التي رصدها الباحثين وعدد من المفكرين، لان الحرب العسكرية والسياسية والاقتصادية وحتى الإمكانات العلمية والمادية، كلها أدت بالفعل في وقت من الأوقات، الى اخضاع العالم الإسلامي للنفوذ الصهيوني، وكل هذا لا يؤدي الى صرف المسلمين عن التمسك بالرسالة المحمدية والدفاع عنها بالأيدي والالسن[2].

لقد دأب اليهود منذ عهد الرسول ﷺ وحتى يومنا هذا على محاولات النيل من الإسلام ومقدّساته، فلم تتوقف مساعيهم الخبيثة عن الكيد له ولرسالته الخالدة. فسعوا إلى تحريف حديث النبي ﷺ وتشويه دعوته السامية ، وافتعلوا الأقوال والأفعال كذبًا وزورًا، بل حاولوا العبث بنصوص القرآن الكريم بغية تمزيق وحدة المسلمين، تحقيقًا لأغراضهم السياسية الدنيئة[3].

وفي نهاية المطاف، لولا محمد ﷺ لغرق التاريخ الاجتماعي للإنسانية في دوامة التشخيص والتمثيل ، إذ إن مطلب التجريد النقلي الذي جاء به الإسلام شكّل حجر الأساس لكل توجه عقلي يسعى لفهم الوجود، إنه المطلب الجوهري لكل علم وفلسفة ، ولولا محمد ﷺ ، لما انفتحت مغاليق الفكر المنطقي الإنساني عبر الحوار بين العقائد والأديان ، ولما نشأ علم العقائد الذي بعث من جديد روح المنطق الإغريقي الخالد من سباته ، فكانت انطلاقته منبعًا لولادة العلوم والفلسفات والفنون العربية.

ومن فيض نبوتهﷺ، استنفرت المجتمعات البشرية للبحث عن الحق، رغم ما اعترض طريقها من مظاهر التعصب وأساليبه. وليس أدلّ على ذلك من اعتراف نيتشه حين قال :**إن المسيحية حرمتنا من**

1- محمد قطب، المستشرقون والإسلام، ط1،مكتبة وهبة، (القاهرة – 1999) ، ص52-51 .
2- المصدر نفسه ، ص 52.
3- كامل سعفان ، اليهود تاريخ وعقيدة ، ص37.

حصاد الثقافات القديمة، وآخر سرقاتها كانت حرماننا من ثمار الثقافة الإسلامية الرائعة .فلولا محمد ﷺ، لما اطّلع الغرب على كنوز علومنا ومعارفنا، ولما كان لنا تاريخ فكري اجتماعي، بل لانحصر تاريخنا في السياسة والحروب .

ومن هنا ، علينا أن لا نقع في فخّ الأسطرة ونحن نتأمل عظمته ﷺ، بل نفهمها في إطارها الحقيقي: إنها عظمة الذات المحمدية الخالدة ، التي استطاعت أن تتحوّل من ذاتٍ إلى موضوع، من تجربة إلى منهج ، عبر أقلامنا المحمدية التي تنهل من معين مجده، وتفيض من شعاع نوره، وتعبر عن عظمته بما يليق بها[1].

الاستنتاجات :

- أن المستشرقين يخضعون بأعمالهم إما الى التبشير فيحاولون أن يعكسوا أفكارهم مشوشة ونوايا عدائية ، وإذا توفر بعض الاخلاص فيها فإن أدوات المستشرقين الفكرية تقصرعن طبيعة العرب والمسلمين .
- كثير منهم من تأثر بوجهات النظر الاستعمارية فخدمها أما عن طريق مباشر أوغير مباشر فيسيئون عن عمد الى كل ماهوعربي وإسلامي .
- تراوحت المدارس الاستشراقية تجاه الإسلام بين الدوافع الدينية والعلمية والسياسة الاستعمارية وتفاعلها معا ، أفرزت لنا صورة مشوهة وغير منصفة سواء عن الدين الإسلامي أوشخص النبي ﷺ وهوما عمّق الهوة بين الغرب والشرق .
- استخدم المستشرقون المنهج الغربي المعتاد تجاه السيرة النبوية ، هوالتشكيك بنبوته وفي الروايات الإسلامية.
- العديد من المستشرقين كشفوا – بتعمقهم ونفاذهم وأحاطتهم – النقاب عن بعض الجوانب الغامضة والمضطربة في التاريخ الإسلامي عامة والسيرة النبوية خاصة ، إلا أن بأخطائهم المنهجية طرحوا نتائج وآراء خاطئة على مستوى الموضوع مما قاد إلى نتائج لا تحمل روح العلم والجدية إلا قليلا .
- لم يستطع المستشرقون – على حد قول آتيين دينييه : التجرد من عواطفهم وبيئتهم ونزعاتهم المختلفة وأنهم لذلك قد بلغ تحريفهم لسيرة النبي ﷺ والصحابة مبلغا يخشى على صورتها الحقيقية من شدة التحريف

1– ينظر : واشنطن ايرفينغ، محمد وخلفاؤه، مقدمة المترجم، 20–22 ص

فيها ، وبرغم ما يزعمون من إتباعهم لأساليب النقد البريئة والقوانين البحث العلمي الجاد ، فإننا نجد من خلال كتاباتهم – تتغير صورة محمد بتغير الكاتب .. ولا نكاد نجد للسيرة الصورة الصحيحة لها .

- (أخذ المستشرقون بالخبر الضعيف في بعض الأحيان وحكموا بموجبه وأستعانوا بالشاذ وقدموه على المعروف المشهور ، أستعانوا بالشاذ ولوكان متأخرا ، أوكان من النوع الذي استغربه النقدة وأشاروا إلى نشوزه ، تعمدوا ذلك لأن هذا الشاذ هوالأداة الوحيد في إثارة الشك)[1].
- ان المستشرقين والغربيين عموماً، لم يقدروا على تحقيق مقاربة علمية دقيقة لعصر الرسالة وشخصية نبيُ الامة ﷺ ليس بالضرورة لانهم يضعون انفسهم في دائرة العداء لهذا الدين الحنيف ، وانما لان موروثهم الثقافي حيناً ، والسياسي أوالديني حيناً آخر، لا يتيح لهم التعامل الموضوعي مع الحالة الإسلامية التي يلتقي الوحي بالوجود والغيب بالظاهر، والعقيدة بالشريعة، والدين بالسياسة، في ترابط كامل يعرفه المسلم جيداً غير سواهم.
- رغم وجود آراء سلبية في بعض مراحل الاستشراق ، إلا أن بعضهم سيما المعاصرين منهم أنصفوا شخصية رسول الله ﷺ وأعتبروه قائدا ومصلحا عظيما وهذا التغيير يعكس تطور النظرة الغربية عموما والنبي محمدﷺ خصوصا ، من العداء الى الفهم .
- وفي النهاية ان المسلمين أمةً ، أراد الله لهم ان يكونوا وسطاً ليكونوا شهداء على الناس وهم أيضاً أمة، وُضعت على كاهلهم رسالة، وهي رسالة الإيمان بالله الحق وبكرامة الإنسان الذي كرمه الله ، واستخلفه في الأرض ليعمرها بالحق والعدل والخير والرحمة، ولكي تتحقق هذه الرسالة وينهضوا بها، لابد من ان يحافظوا على كيانهم وقوتهم ضد أي كيان محتلً غاشم، ولا سبيل الى ذلك إلا الاعتصام بحبل الاتحاد والتعاون على البر والتقوى، لا على الاثم والعدوان.
- التوصيات : يجب فرز ما هوإيجابي وسلبي في المعلومات الواردة من المستشرقين بغية الاستفادة ولإغناء الحضارة العربية الإسلامية على أن يكون بتدبر ووعي ، بغية تجنب

1– جواد علي ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، 1 / 8 –11 .

خطرهم وسمومهم الذي طالما يضعوه في وعاء العسل .

المصادر والمراجع :

-القرآن الكريم .

1 – ابن القيم الجوزي، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط1، مؤسسة الرسالة، 2009 (بيروت – 1994) ، ج 3، ص40.

2 – أجناس جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الإسلام ، نقل وتعليق : محمد يوسف وآخرون، دار الكتب الحديثة، ط2(مصر – 1959) ، ص39 –40 .

3 – إدوارد سعيد ، الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق) ، ترجمة : محمد عناني ، الطبعة صادرة عن دار بنجوين العالمية – 1995، (رؤية للنشر والتوزيع – 2006) .

4 – إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، مطبعة الاعتماد ، (مصر – 1927).

5 – بابر ياهنسن، تأملات في الشرق، تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني، ترجمة، عدنان حسن، ط1، دار قدمس العربية، .

6 – بنسالم حميش ، العرب والإسلام في مرايا الإستشراق ، دار الشروق ، (القاهرة – 2010).

7 – الجهشياري ، أبي عبد الله محمد بن عبدوس (ت331هـ) ، كتاب الوزراء والكتاب ، دار الفكر الحديث ، (بيروت –1988) .

8 – جواد علي ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين ، ط3 (بيروت – 1980) .

9 – حسن عيسى الحكيم ، الدراسات الأستشراقية (رؤية وإيضاح في المنهج) ، شركة العارف للمطبوعات ، (بيروت –2012) .

10 – ساسي سالم الحاج ، نقد الخطاب الديني، دار المدار الإسلامي ، (بيروت – 2001) ، 2 / 186 .

11 – سعدون الساموك ، الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية ، دار المناهج للنشر ، (عمان – 2010) .

12 – سلمان قاطية، اراء جديدة للمفكر الاشتراكي مكسيم رودنسون حول القضية الفلسطينية واسرائيل، مجلة المعرفة، المجلد 5، العدد49 .

13 – عباس قاسم عطية المرياني ، الاستشراق الإيطالي (فرانشيسكوغابريلي في كتابه محمد والفتوحات الإسلامية أنموذجا) رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة البصرة – كلية التربية – 2020).

14 – عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين (بيروت – 1993) .

15 – عبد الله محمد الأمين النعيم ، (دراسة تاريخية لآراء (وات – بروكلمان – فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية ، دار الفكر (دمشق – 2008).

16 – عبد الله محمد الأمين، الاستشراق والعلاقات الإسلامية – اليهودية في السيرة النبوية، معهد اسلام المعرفة، السودان .

17 – عرفان عبد الحميد ، المستشرقون والإسلام، (بغداد – 1969) .

18 – عماد الدين خليل ، المستشرقون والسيرة النبوية ، دار ابن كثير للطباعة (بيروت – 1426هـ) ، ص35 .

19 – فر ست زبير محمد الوذبياني .

20 – فرانشيسكوغابريلي، محمد والفتوحات الإسلامية ، ترجمة :عبد الجبار ناجي ، دار المحجة البيضاء، 2011.

21 – فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ترجمة : محمد عبد الهادي أبوريدة ، نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة – 1968) .

22 – كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة : نبيه أمين ومنير بعلبكي ، ط5، دار العلم للملايين ، (بيروت – 1968).

23 – كامل سعفان، اليهود تاريخ وعقيدة، دار الاعتصام، (القاهرة – د.ت) ، ص28–27.

24 – لطيف نجاح شهيد القصاب ، الاستشراق في فكر إدوارد سعيد قراءة في منهج الخطاب (بحث منشور في مجلة دراسات استشراقية)، العدد17 ، 2019 .

25 – لمجلسي، محمد باقر بن محمد بن مقصود (ت 1111هـ)، بحار الانوار، مؤسسة الوفاء، (بيروت–د.ت).

26 – ليوتولستوي، حكم النبي محمد، ترجمة سليم قبعين، كلمات عربية، (القاهرة – مصر – د.ت) .

27 – محمد عبد الرحيم الزيني، الاستشراق اليهودي، ط1، دار اليقين، (مصر – 2011،–مصر) .

28 – محمد قطب، المستشرقون والإسلام، ط1، مكتبة وهبة ، 1999.

29 – مصطفى بن حسني السباعي ، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، دار الوراق ، المكتب الإسلام .

30 – مكسيم رودنسون، الماركسية والعالم الإسلامي، ط1، ترجمة مكتبة المهتدين، 1982م، ص57.

31 – مكسيم رودنسون، جاذبية الإسلام، ترجمة الياس مرقص، الاسكندرية، 2003 .

32 – مونتغمري وات ، محمد في مكة ، تعريب : بركات شعبان ، منشورات المكتبة العصرية ، (صيدا – بيروت).

33 – مونتكمري وات ، محمد في المدينة ، ترجمة : محمد شعبان بركات ، (لبنان – المكتبة العصرية – د.ت).

34 – واشنطن ايرفينغ، محمد وخلفاؤه، ترجمة هاني يحيى نصري، ط1، المركز الثقافي العربي، 1999.